معالجات تصفيف الشعر عند المرأة
بين عصر فجر السلالات والعصر البابلي القديم

آية طارق عبد الوهاب مظلوم

الفصل الأول

مشكلة البحث:

لوادي الرافدين مكانه عريقة بين باقي الدول العريقة الأخرى ويتميز في تطوره الحضاري في عدة مجالات وهذا أعطاه مكانه كبيرة بين الأمم الأخرى المجاورة حتى أصبح منبعا تنهل منه الأمم الأخرى المعرفة بكل جوانبها ، وان دراسة الآثار الفنية القديمة تكشف لنا جانب من جوانب التاريخ الذي يعيننا على فهم حاضر الإنسان وكيف وصل إلى ما هو عليه. وتكشف لنا الأصول الأساسية لتراث البشرية منذ أقدم العصور، وكذلك تعد الآثار الفنية مصدرا مهما لدراسة الطرز الفنية القديمة و تطورها من عصر

لآخر ولمعرفة الدوافع الفنية والموضوعات التي عني بها الفنانون سواء كانت دينية أو الموضوعات التي تتصل بمظاهر الحياة اليومية .

استخدم الإنسان في وادي الرافدين المنحوتات كوسيلة أولى للتعبير عن مظاهر حياته في جميع جوانبها وخص بحثنا بدراسة المعالجات التي قام بها النحات العراقي القديم فيما يخص اختلاف وتنوع أشكال تصفيفات الشعر في فن النحت في بلاد الرافدين من خلال التعرف على أشكالها وأنواعها في عصر فجر السلالات والعصر البابلي القديم، وتوضيح الاختلاف و المقارنة بين هذين العصرين للحصول على النتائج المطلوبة .

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى إيجاد دراسة فنية تعرفنا على المعالجات في تصفيف الشعر في منحوتات المراة في العصر السومري (عصر فجر السلالات) والعصر البابلي القديم والمقارنة بين هذين العصرين ،كما يهدف إلى تسليط الضوء على الأساليب النحتية المستخدمة في تصفيفات الشعر وكذلك التعرف على التقنية و بيان التطور في الأساليب بين العصرين العصر السومري (عصر فجر السلالات) والعصر البابلي القديم.

حدود البحث:

يقتصر بحثنا على دراسة أعمال النحت المدور والبارز التي تمثل المرأة في عصر فجر السلالات والعصر البابلي القديم سواء كانت من الحجر أو الطين المفخور أو البرونز وبمختلف الأحجام والتي يتم الحصول عليها من الكتب المنشورة ، و يحدد البحث بفترتين زمنيتين :

الأولى : عصر فجر السلالات السومرية (٢٨٠٠-٢٣٧٠ق.م).

الثانية : العصر البابلي القديم (٢٠١٦-١٥٩٥ق.م).

الفصل الثاني

نبذة تاريخية موجزة لعصر فجر السلالات والعصر البابلي القديم

عصر فجر السلالات

وهو العصر الذي يلي دور الوركاء وجمدة نصر وتميز هذا الدور بمظاهر حضارية متعددة ولعل من أبرزها ظهور الكتابة في عصر الوركاء الأخير (الطبقة الرابعة من الوركاء) في حدود٣٥٠٠ق.م،بعد هذه الحقبة التاريخية التي تمثلت في عصر الوركاء وجمدة نصر كانت بدايتها امتداد لتلك الحضارتين السابقتين وقد سميت بفجر السلالات، أن سبب تسميتها بفجر السلالات هو بعد معرفة الكتابة دونت أسماء السلالات التي حكمت في المدن السومرية ، ونظرا لمعرفه السلالات الحاكمة سمي العصر بعصر فجر السلالات.

يمثل هذا العصر عهد انتقال جديد في حضارة وادي الرافدين ،أطلق عليه المؤرخون اسم عصر فجر السلالات أو عصر دويلات المدن وحددت فترته التاريخية مابين (٢٨٠٠-٢٣٧٠) سنة ق.م تقريبا ، وقد تم تقسيمه إلى ثلاثة أطور بالاستناد إلى دراسة آثاره ، حيث يمثل الطور الأول المرحلة الانتقالية من طور جمدة نصر أطلق عليه المؤرخون "عصر فجر السلالات الأول" ، وسمي العصر الذي يليه عصر فجر السلالات الثاني وفيه بدا التدوين بالكتابة المسمارية بشكل متطور ويمكن تحديد فترته الزمنية بحوالي (٢٧٠٠-٢٥٥٠ق.م) ويليه عصر فجر السلالات الثالث حيث ازدهرت حضارة وادي الرافدين في هذا العصر في مختلف الجوانب الحضارية[١].

تميز هذا العصر بأروع المنجزات في الآداب، وشهدت البلاد ازدهارا في العمران و الزراعة والتجارة و أصبحت المدن مراكز سياسية واقتصادية،ودينية مهمة ، إلا أنها كانت في نزاع مستمر فيما بينها من اجل فرض السيطرة على الأراضي الزراعية ومصادر الري [٢].

واستمر النزاع إلى أن تمكن (لوكال زاكيزي)من توحيد هذه الدويلات ثم انتقلت السلطة من السومريين إلى الساميين عندما تمكن (سرجون)من انتزاع حكم البلاد من (لوكال زاكيزي)[٣].

العصر البابلي القديم

لقد شمل هذا العصر الفترة الزمنية الواقعة مابين نهاية "سلالة أور الثالثة" في حدود ٢٠٠٤سنة ق.م وبين نهاية سلالة بابل الأولى ، وبداية تأسيس الدولة الكيشية في أعقاب الغزو الكيشي لبابل ١٥٩٠ق.م [٤]. وفيما يلي إيجاز عن ابرز السلالات الحاكمة في هذا العصر :

سلالة آيسن (٢٠١٧-١٧٩٤ق.م):

تأسست هذه السلالة بعد تدهور إمبراطورية أور الثالثة وسقوطها على يد الملك "اشبي-ايرا" في مدينة آيسن وعدد ملوكها سبعة عشرا ملكا حكموا زهاء(٢٢٦) سنة في نحو عام(٢٠١٧-١٧٩٤ق.م) وقد عرف ملوك هذه السلالة بحبهم للتعمير وتنمية الحضارة القديمة [٥]. وامتد نفوذ سيطرتهم من دلمون "البحرين"في الجنوب إلى منطقة سبار في الشمال ، وتميزت مملكتهم بعلاقات تجارية واسعة مع البلدان المجاورة.

سلالة لارسا (٢٠٢٥-١٧٦٣ق.م):

عاصرت هذه السلالة التي تأسست في مدينة لارسا من قبل الملك "نبلا نم" مع سلالة ثم تعاظم شانها خلال حكم الملك "كنكوم"(١٩٣٢-١٩٠٦ف.م)وفي عهد آخر ملوك هذه السلالة وهو "ديم سن" خضعت لها مدينة آيسن وانحصر بعد ذلك النزاع القائم بين سلالات المدن في تلك الفترة على هذه السلالة وسلالة بابل الأولى التي ظهرت بعد فترة حيث تمكن ملكها السادس حمورابي من القضاء على سلالة لارسا في عام (١٧٦٣ق.م) ، أما عدد ملوكها فكان أربعة عشر ملكا حكموا زهاء (٢٦٤)سنة في نحو عام (٢٠٢٥-١٧٦٣ق.م).

سلالة بابل الأولى (١٨٩٤-١٥٩٥ق.م):

تكونت في بابل بعد مدة على تكوين سلالتي آيسن ولارسا سلالة ثالثة عرفت باسم سلالة بابل الأولى ،أسسها الملك "سومو-ابم"، استمر حكم هذه السلالة ثلاثة قرون في نحو (١٨٩٤-١٥٩٤ق.م)وعدد ملوكها احد عشر ملكا كان أبرزهم الملك "حمورابي" وقد بلغت حضارة العراق في هذه الفترة أوج عظمتها وازدهارها وعمت اللغة البابلية تكلما وكتابة وارتقت العلوم والمعارف والفنون وكانت البلاد تحكم بقانون موحد سنّه حمورابي الذي دام حكمه من سنة (١٧٩٥-١٧٥٠ق.م)، حيث استطاع حمورابي من تأسيس إمبراطورية واسعة امتدت من مدينتي لكش واريدو في الجنوب إلى مدينتي اشور ونينوى في الشمال[٦].

وانتصر هذا الملك على العيلاميين في الشرق بعد حرب ضارية ثم اتجه الى بلاد الشام فاتحا المدن الغربية فيها ، وبهذا قد ضم قسما كبيرا من بلاد الشرق الأدنى حيث ساعده ذلك على نشر الحضارة البابلية وثقافتها في البلاد التي فتحها[٧].

ولقد دخلت البلاد مرحلة جديدة وعظيمة من المدنية وأدت أحوال الرفاه الى ظهور فن مزدهر ، فلقد أنتجت الأعمال العظمى في كل ميادين النشاط البشري و الإبداع الفني ،وتبين التماثيل العديدة التي اكتشفت في ماري أن النحت بقى ضمن التقليد السومري [٨].

الوضع الاجتماعي للمرأة :

الوضع الاجتماعي للمرأة في عصور ما قبل التاريخ

يصعب علينا أن نكوّن فكرة أكيدة عن وضع المرأة في الفترة التي سبقت مرحلة الزراعة ،ولكن مما لاشك فيه أن وضع المرأة كان قاسيا جدا في تلك الفترات بحكم تكوينها البايولوجي الذي يربطها بالحمل والإنجاب و الرضاعة ، العمليات التي تأخذ قسطا كبيرا من قوتها وقتها ،بعكس الرجل الذي يبقى حرا طليقا في معظم سنين حياته دون تعلقات والتزامات.

وبمرور الزمن اخذ الإنسان يدرك الأهمية البالغة للتكاثر ولخصوبة الأرض ومدى تأثير مثل هذه الظواهر على حياته وخاصة عندما انتقل من مرحلة جمع القوت الى إنتاجه (العصر الحجري الحديث) واستقر في الأرض ولعل المرأة هي التي اهتدت الى تدجين الحبوب البرية بالزراعة .أي إنها هي التي أوجدت الزراعة حينئذ أصبحت الأمومة مكرمة بل مقدسة.

إلا ان أكثر الأقوام البدائية كانت تجهل دور الأب في الإنجاب فتعتقد ان الأولاد ينحدرون من روح الأجداد في جسم المرأة ،أصبحت المرأة تلعب دورا أوليا في تلك المجتمعات فكثيرا ما كان الأولاد يتبعون عشيرة أمهم ،كما أخذت الملكية الجماعية تنتقل من خلال النساء (٩).

في هذه المرحلة فقد الرجل ثقته بقوته وأصبح يحس بنفسه معلقا بالطبيعة القاسية التي تهب الموت والحياة تبعا للخصوبة والوفرة التي تمثلها المرأة ،وظهرت في هذه المرحلة من التطور الفكري والاجتماعي للإنسان عقيدة عبادة ألام –الآلهة التي تعبد من خلال فكرة الخصوبة والتكاثر.

ففي العراق نجد ان أقدم التماثيل الصغيرة التي وصلتنا من الموقع الأثري المسمى "جرمو" والذي يرقى زمنه الى الألف السادس قبل الميلاد،ان هذه الصورة للآلهة ألام والتي مثلتها تماثيل الطين ظهرت في عصور ما قبل التاريخ واستمرت خلال العصور التاريخية اللاحقة ،وإذا كنا نجهل الاسم الذي أطلقه سكان عصور ما قبل التاريخ على ألهتهم الأم لإنعدام الكتابة آنذاك فإننا عرفناها عند السومريين باسم "انانا".

إلا ان العصر الذهبي لم يدم طويلا بالنسبة للمرأة إذ سرعان ما اكتشف الرجل دوره في الإنتاج فاخذ الرجل من بعد ذلك سلب الامتيازات الإلهية من المرأة وفرض سيطرته وسيادته عليها وهكذا ظهر بجانب الآلهة الأم ،اله شاب اقل منها مركزا ولكنه يشبهها في الخصائص ويجسد مثلها فكرة الخصب والإنجاب وهنا بدأ ظهور الالهه الزوجية "انانا ودموزي" عند السومريين (١٠).

وبسبب وضع المرأة الذي كان قاسيا في تلك الفترات وارتباطه بأعمال المنزل وانشغالها بأمور أخرى ، فلم يكن من الضروري ان تعتني المرأة في هذه الفترة بمظهرها الخارجي أو اهتمامها بتصفيف الشعر ولكن ظهر تطور ملحوظ بعد ظهور الزراعة في كثير من القرى الزراعية ودليل ذلك ما نجده في التماثيل الصغيرة (الدمى الطينية) التي تزين كحلي ذلك يدل على بدء تطورهذا الفن شيئا فشيئا.

الوضع الاجتماعي للمرأة في العصر السومري

أهم مميزات هذا العصر هي الإصلاحات التي جاء بها الأمير السومري اوركاجينا الذي وصلتنا من عصره عدد من النصوص التي تتحدث عن جوانب مختلفة من عصره وعن الإصلاحات والتغييرات التي قام بها إذا ما صرفنا النظر عن تلك الإصلاحات في الميادين الاقتصادية والسياسية ، لأنها خارج موضوع بحثنا هذا فان الإصلاحات التي جاء بها اوركاجينا في المجالات الاجتماعية تعتبر واحدة من ابرز الإنجازات التي حققها الأمراء السومريين الأوائل في المجتمع السومري .

وبقدر ما يتعلق الأمر بالمرأة يذكر اوركاجينا في وثيقة إصلاحاته بأنه ثبت حقوق الأرامل والأيتام وحافظ على ممتلكات النساء من جشع المتنفذين والأقوياء ، كما يذكر أيضا بأنه حرم عادة تعدد الأزواج للمرأة الواحدة ووضع عقوبة الرجم بالحجارة على من يثبت زواجها بأكثر من رجل واحد.

ويظهر ان المرأة في هذا العصر كانت تمارس الى جانب الأعمال المنزلية عددا من المهن كغزل الصوف ونسجه ،وطحن الحبوب ،وتربية الحيوانات ،كما قام قسم منهن بمساعدة الرجل في الحقل. وكانت المرأة السومرية تتقاضى مقابل تأديتها احد الأعمال السابقة اجورعينية من الحبوب والزيت والمواد الغذائية الأخرى وكانت مساوية لما يتقاضاه الرجل ،مما يدل ان مشاركتها في الحياة الاقتصادية كانت مساوية لما يقوم به الرجل وهذا ما أعطاها مكانه معادلة له في ميادين الحياة الأخرى . ونتيجة لخروج المرأة الى العمل كان لابد لها ان تهتم بمظهرها الخارجي وتقوم بالاعتناء بملابسها حيث يظهر

لنا زي كان يعرف باسم المهدبات ، وهي وزرات مصنوعة من أشرطة من القماش ، وكذلك اهتمت بزينتها فنجدها استعملت أنواع متعددة من الحلي كالقلائد والأقراط وأساور على اختلاف إشكالها . ونجد ان النساء في هذه الفترة قد اتخذن أشكالا مختلفة في طريقة تصفيف الشعر وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على براعة المرأة في فن تصفيف الشعر ووصولها الى مراحل متقدمة في هذا الفن.

نحن نعلم ان مركز الأميرات والملكات في أي مجتمع لا يعكس لنا صورة جلية عن مركز النساء في ذلك المجتمع ، إلا انه يمكننا ان نطلع من دون شك على بعض الجوانب الحضارية لمجتمع ما من دراسة حقوق وواجبات زوجات الرؤساء اللواتي اشتركن مع أزواجهن في حكم ذلك المجتمع ،وفي أقامة الطقوس الدينية التي كان الحاكم في عصر فجر السلالات ينجزها باعتباره الكاهن الأعلى الممثل لإله المدينة .

ومن النساء اللواتي اشتهرن في مدينة لكش عصر فجر السلالات : "ديم باندا" زوجة الحاكم اينيتارزي ، "بانمتارا" زوجة الحاكم لوكالاندا ، و"شاشا" زوجة الحاكم اوروكاجينا، هؤلاء النسوة قمن بالأشراف على إدارة وتصريف الأمور التجارية الواسعة النطاق بين دويلة لكش والمدن المجاورة الأخرى وعلى جمع الضرائب وتوزيع الأرزاق وشراء العبيد، وكن أحيانا يترأسن الاحتفالات الدينية أيضا .

وان هؤلاء النسوة قد تمتعن بمراكز دينية تضاهي مراكز أزواجهن . إذ كن يعتبرن بمثابة آلهات على الأرض، وان هؤلاء النسوة كن يحافظن على مراكزهن المقدسة حتى بعد زوال حكم أزواجهن، فقد أقيم لـ"شاشا" زوجة اوروكاجينا مراسيم دفن عظيمة حضرها عدد كبير من النساء و الرجال مما يشير الى سموها وعظمة مركزها الاجتماعي.

الوضع الاجتماعي للمرأة في العصر البابلي القديم

إن معلوماتنا عن حقوق المرأة في هذا العصر تأخذ بالازدياد وذلك من خلال الشرائع والوثائق الاقتصادية العديدة ،تدل كثرة القوانين التي جاءتنا من هذه الفترة (قانون لبت

عشتار وقانون أشنونا ثم قانون حمورابي) على مدى التطور الاجتماعي والاقتصادي الذي وصل إليه مجتمع وادي الرافدين وعلى رغبة الحاكمين في تحديد الحقوق والإمتيازات لكل طبقة من طبقات المجتمع . (فمثلاً يذكر الملك لبت عشتار في مقدمة قوانينه انه جاء ليزيل العبودية التي فرضت ظلماً على رقاب الأولاد والبنات في مدن كثيرة مثل (نفر ، أور ، آيسن وسومر وأكد ، وليعطيهم حريتهم كهدية لهم . لم يفرق هذا المشرع بين البنات والأولاد بل بالعكس ، ذكر كلاً منهم الى جانب الآخر ليؤكد على مساواتهم في الحقوق والرعاية) .

وأما المشرع حمورابي فيذكر بأنه جاء ليوطد العدل في البلاد ويقضي على الخبث والشر ويمنع القوي من استعباد الضعيف . وتدل الوثائق الاقتصادية والقانونية على إن المرأة البابلية كانت تتمتع بحق القيام لوحدها بأعمال تجارية حرة من بيع وشراء وتبني وإعارة وتأجير دون ولي أو وكيل ، وكانت تظهر أيضاً في المحاكم كشاهدة أو متهمة ، أما في حالة المرأة المتزوجة ، فلقد أعطاها حمورابي حصصاً معينة من ممتلكات زوجها، وحق تربية أطفالها الصغار في حالة غياب زوجها أو وفاته .

ورغم ذلك فلقد كان نظام العائلة في العهد البابلي القديم نظاماً أبويا حق للرجل باعتباره الركن الأساسي لهذا النظام ، أن يكون سيد الموقف بيده حق إجراء الزواج أو فسخه ، وله حق التزوج بأكثر من امرأة ويرجع الأولاد في نسبهم إليه ، ويغلب الذكور الإناث في حقوق الإرث وبشكل عام ، كان الرجل البابلي في مركز متميز كثيراً عن المرأة، أما المرأة فلم يكن بيدها الخيار في الزواج أو الطلاق ، ولم يكن لها حق السيادة على نفسها، فالسيادة على المرأة تنتقل من أبيها أو أخيها قبل الزواج الى زوجها بعده[١١].

أما بالنسبة للحرف التي مارستها المرأة في هذه الفترة فهي متعددة ومن أكثرها انتشارا مهنة الكهنوت ، بالنسبة لبنات العوائل الغنية المتنفذة ، ومهنة الكتابة التي تعتبر من أصعب المهن المعروفة آنذاك ، ومهنة الرضاعة ومهن أخرى .

واهتمت المرأة في هذا العصر كثيراً بمظهرها الخارجي وبالاعتناء بالأزياء التي كانت ترتديها وحسب موقع عملها ، ونلاحظ الحلي التي وصلت الى مراحل متقدمة من حيث الصنع والتفنن في أشكالها ، أما بالنسبة لتصفيفات الشعر فظهرت أنواع مختلفة من تصفيفات الشعر سنأتي على ذكرها فيما بعد .

الحلي ومكملات الشعر

اهتم الإنسان منذ القدم بالجمال ، ولقد رأيناه في جميع مراحل حياته يستعين بما يصادفه أمامه ليتجمل ويتزين بالحشائش وأوراق الشجر ليستر بها عورته وبالأصباغ يلوّن بها بعض أجزاء بشرته ، وبالأحجار الكريمة الملوّنة يصنعها أقراطاً أو أساور ، وبالمعادن يتختم بها أو يجعلها قلائد يحيط بها عنقه ، وكذلك استعملت الحلي لأغراض سحرية أيضاً .

لذلك أقبل الإنسان على حب الحلي والمجوهرات ، لأنها بلا شك جميلة ، ولقد لجأ الرجل في باديء الأمر الى التزين ليكون قريباً من زينة المرأة وكذلك فأن بلا شك إن كان شخصاً مرموقاً أن يكون هندامه مناسب ، خاصة عندما يكون مركزه الاجتماعي كبير ، هذا بالإضافة فأننا نعرف إن من صفات الملوك في بلاد وادي الرافدين الاعتناء بزينتهم .

وعندما ننظر الى المجتمعات البدائية في أية بقعة من بقاع المعمورة ، فأننا نجد إن الرجل هو الذي يبالغ في استخدام أدوات الزينة التي تصادفه في وطنه ، يجمّل بشرته بالأصباغ الزاهية ويضع الريش الملون حول رأسه وجسده ، لكي يكون جميلاً في عين الأنثى (١٢) .

وكانت الأنثى في باديء الأمر تكتفي بعامل الأنوثة ، وكانت مقتنعة بان تلك الأنوثة كافية الى الإغراء والجاذبية ، ولكنها استسلمت لحكم العادة وضغط الظروف والميل للمحاكاة الى أن تقتدي بالرجل باستخدام الحلي ، فجعلتها إحدى وسائلها في التجميل والتقرب الى الرجل . ولكي تدفع عنها أذى الأرواح الشريرة وتقي نفسها من عوامل

الغيرة والخرافة ، ونراها قد استعانت أيضاً بالأقراط والقلائد والأساور ، تماماً كما فعل الرجل تستوي عندها أنواع المادة التي صنعت منها الحلي إذا كانت من الزجاج أو الخزف أو النحاس أو الفضة وسواء أكانت مرصعة بأحجار كريمة أو غير كريمة فهي كلها لديها حُلي تجملها وتزيدها تألقاً ، ثم تطورت صناعة الحلي ، وصارت لها قصة طويلة في التاريخ والفن ، وإن الحلي ما هي إلا مظهر من مظاهر الذوق الفني وإحدى ظواهر تطوره ، فهي دراسة لعادات المجتمع وتقاليده كما إنها دراسة للصلات الإنسانية التي بين أفراده وتبين الحلي أذواق الناس ، ومفهومهم الجمالي وميولهم الروحية وإمكانياتهم المادية، ولاشك إن ازدهار صناعة الحلي في مجتمع ما ، يتأثر الى حد كبير بمستوى الحياة الاقتصادية لذلك المجتمع ورقيه الصناعي ونشاطه التجاري ، وتاريخه الاجتماعي ، بالإضافة الى ذلك فإن صناعة الحلي ما هي إلا ضرب من ضروب الفنون الجميلة .

عرف استعمال الحلي في بلاد وادي الرافدين منذ أقدم العصور وكان الرجال والنساء يزينون آذانهم بالأقراط ويتقلدون القلائد في أعناقهم ويزينون معاصمهم بالأساور وأصابعهم بالخواتم .

وكانوا يصنعون حليهم من الحديد عندما كان قليل الوجود يتنافسون باقتنائه ، ثم استبدلوه بالبرونز ، أما الحلي المصنوعة من الذهب والفضة فكانت نادرة جداً ، ولكن المصنوع منها كان بالغ الإتقان والحسن (١٣).

ومن أبرز ما وجد من دلائل في هذا المضمار المقبرة الملكية في أور .

المقبرة الملكية في أور

لقد دفن بعض الملوك والأمراء السومريين عند وفاتهم حاجياتهم الثمينة الضرورية للحياة الثانية لا سيما ملوك سلالة أور الأولى في منتصف الألف الثالث ق.م في نحو (٢٤٥٠ ق.م) ، وقد اكتشفت البعثة المشتركة من المتحف البريطاني ومتحف جامعة بنسلفانيا ١٩٢٨ " المقبرة الملكية في أور" .

وجد في هذه المقبرة قبوراً فيها جثة واحدة وسراديب كبيرة فيها أكثر من جثة واحدة تصل أحيانا الى عشرات الجثث للضحايا الذين قدموا لخدمة سيدهم أو سيدتهم في العالم الثاني ، وقد وجد في هذه المقابر أجمل الآثار الذهبية وأثمنها قيثارة مطعمة بالذهب والأحجار الكريمة وخوذة الذهب للملك((مس– كلام– دك)) وخناجره الذهبية وحلي نسائية كثيرة جداً تعود للأميرة ((شبأد)) ووصيفاتها ومئات من الأقراط الذهبية وقلائد من الخرز وبأشكال مختلفة [١٤]. وتدل هذه الآثار العظيمة على ذوق سليم وروح فنية عالية وقدرة واسعة في صنع الحلي والمصوغات وتزيينها بالأحجار الثمينة الزاهية الألوان .

أما في ما يخص بحثنا هذا فلقد أنصب اهتمامنا على الحلي التي استعملت في تزيين الشعر وعلى اختلاف أنواعها فنجد مثلاً مجموعة من أشرطة الذهب المستعملة في تصفيف الشعر وتثبيته في الرأس ، وقد اهتمت المرأة السومرية اهتماما كبيراً بزينتها وجمالها والمصوغات التي وجدت في المقبرة الملكية في أور خير دليل على ذلك وعلى الفن الكبير في ذلك العهد .

وقد وجدت أيضاً مجموعة من المصوغات الذهبية والأحجار الكريمة تتألف من وريقات من الذهب لزينة الرأس ودبابيس وأمشاط من الذهب تعلوها زهرات وأقراط وقلائد مختلفة من خرز من الذهب واللازورد والعقيق ، ولقد وجدت كل هذه المصوغات بالأصل في أحد قبور الأميرات وقد رتبت بعد العثور عليها على رأس من الجبس وذلك بالهيئة التي كانت النساء السومريات يتزينّ بها مثلما وجدت على جماجمهن في القبور .

إما بخصوص الحلي في العصر البابلي القديم فإن التنقيبات لم تتمخض عن إيجاد ما يكفي من الشواهد من الحلي في هذا العصر لكي نستطيع أن نخصص لهذا الموضوع باباً بحد ذاته .

الفصل الثالث

إجراءات البحث

مجتمع البحث

تضمن مجتمع البحث المنحوتات الأثرية المكتشفة التي تصور النساء و المحفوظة في المتحف العراقي والموجودة أيضا في المتاحف الأجنبية التي يمكن الإطلاع عليها عن طريق المصورات والمصادر المتوفرة ، وتشمل المنحوتات المدورة في عصر فجر السلالات والدمى الطينية في العصر البابلي القديم وتستثنى منها الأعمال الخارجة عن حدود البحث .

عينة البحث

شملت عينة البحث مجموعة من المنحوتات الأثرية التي شملها مجتمع البحث ويتم ترتيبها حسب تسلسلها الزمني (حسب عصورها التاريخية) وإهمال ما يتكرر ظهوره من هذه الأعمال .

لقد تم تقسيم عينة البحث الى عده أقسام وذلك للتسهيل في تحليل عينة البحث والتوصل الى النتائج وهذه الأقسام هي :

١. شعر وأشرطة
٢. شعر وقبعة
٣. شعر مضاف إليه شعر
٤. تسريحات شعر في وضعيات أخرى

٣- أدوات البحث

لغرض جمع المعلومات اللازمة للبحث نستخدم الأدوات التالية :

١. المصادر والمراجع
٢. المصورات

٤- منهجية البحث

يعتمد منهج البحث على المنهج المسحي التاريخي في دراسة الأعمال النحتية القديمة التي شملتها عينة البحث بعد فرزها على أساس ظهورها في العصور التاريخية ضمن حدود البحث وإخضاع تلك العينة للوصف والتحليل والتوصل الى المضامين التي تمثلها هذه الأعمال من خلال ما توفره المصادر والمراجع المعنية بدراسة تلك الآثار ، وكذلك القيام بالمقارنة بين العينات من حيث تصفيفات الشعر .

النحت في عصر فجر السلالات

يمثل النحت في عصر فجر السلالات امتداد للنحت في عصور سابقة ، وهو نحت ديني شعائري يمثل انعكاس لطبيعة المجتمع وأفكاره ومعتقداته ، لو تتبعنا مراحل تطور النحت في الأدوار الثلاثة لعصر فجر السلالات نرى إن البدايات الأولى للنحت المجسم في الدور الأول لفجر السلالات غير تامة الاكتمال وغير واضحة الملامح وغالباً مارس النحات صناعة تماثيله في هذه الفترة بقطع صغيرة من الطين أو حتى بالقار . ونلاحظ بعد ذلك تطور في أسلوب النحت المجسم حيث نعتت في هذه الفترة أي في عصر فجر السلالات بالهندسية التجريدية[١٥] .

أما الدور الثالث فقد تميز بالابتعاد عن المنهجية التجريدية مع الاقتراب من الأشكال الطبيعية ونرى أيضاً تطور في حركة التمثال وطريقة عمل الملابس وكذلك طريقة تمثيل الوجوه حيث نراها اقتربت أكثر من ملامح واقعية أي وجه صاحب التمثال ، وكذلك من أبرز مميزات هذا الدور ابتعاد الأيدي المتماسكة عن الصدر ، ونحت الوجه بشكل يوضح المعالم الشخصية مع ابتسامة خفيفة كما نرى في كثير من الأعمال التي مثلت الملكات وغالباً ما كان على رأسها التاج العالي مع ابتسامة خفيفة على وجهها .

ونلاحظ أيضاً أن الفنان السومري قد مثل الجسم بشكل مشدود لا حركة فيه كما تشترك الوجوه كلها في نظرة تحتوي على بساطة وابتهال لإله بأعين مستديرة واسعة الحدقة مبالغ في حجمها ومما يساعد على التعبير عن شدة الانتباه امتلاء الأعين بالأحجار الملونة وهذه من أهم مميزات المنحوتات السومرية. حيث لجأ السومريون الى تطعيم منحوتاتهم بمواد متنوعة كالقير والصدف ، وأحجار ثمينة ملونة وفي بعض الأحيان كانت تكسى هذه المنحوتات بالألوان [١٦].

ونرى في هذا العصر أن تصفيفات الشعر قد اختلفت وتنوعت من امرأة الى أخرى وحسب مكانتها في ذلك المجتمع وفيما يلي دراسة لأهم هذه الأشكال .

أولاً : نماذج تصفيفات الشعر خلال عصر فجر السلالات

١- شعر وأشرطة :

وتظهر هذه التسريحة في مجموعة من الأعمال النحتية لهذا العصر كما نلاحظ في (شكل ٦) راس فتاة عثر عليه في تل أجرب ، حيث يظهر لنا رأس فتاة ذات تسريحة شعر مربوطة بشريط يحيط بالرأس وتتدلى من تحت الشريط الذي يحيط بالرأس خصلات من الشعر منظمة ومنسدلة على الجبهة والقسم العلوي من الشعر يعلوه شريط يحيط بالرأس والباقي من الشعر ينسدل على جانب الوجه بشكل خصلتين مخروطيتين ، ونرى في هذا النموذج أن معالم الوجه واضحة حيث يظهر الوجه بشكل بيضوي والعيون كبيرة نسبياً بالنسبة للوجه وأنف وفم متناسقين .

أما في (الشكل٨) نرى رأس فتاة من تللو أوصافه مشابهة للنموذج السابق من حيث شكل الوجه البيضوي والعيون الكبيرة الواسعة وأنف وفم صغيرين ، أما من حيث تسريحة الشعر فنلاحظ شريط يحيط بالرأس ويمتد الى الخلف تحت الشعر وتتدلى من تحت الشريط الذي يحيط الرأس خصلات من الشعر منظمة بهيئة قطاعات دوائر حول الجبهة ونلاحظ هنا أن هذه الخصل قد تم الاهتمام بها بشكل كبير حيث نراها تلتف حول

الوجه وتنسدل على جانبي الوجه ، أما الشعر الذي يعلو الشريط فنرى أن النحات مثله على شكل حزوز وذلك يدل على شعر مسرّح ومنظم ومعتنى به بشكل واضح .

٢- شعر وقبعة :

عكست الأعمال الفنية أشكالاً متعددة من المنحوتات التي مثلت المراة في عصر فجر السلالات حيث اهتموا كثيراً بالقبعات التي ترتديها النساء في تلك الفترة واخذوا يزينوها لتليق بمكانة المراة التي تحتلها في ذلك المجتمع . حيث نشاهد في (شكل١) تمثال لامرأة لم تعرف هويتها من عصر فجر السلالات الثاني عثر عليها في معبد سين الحادي عشر ، خفاجي ، حيث تظهر هذه المرأة مرتدية عمامة لها حافة بشكل حلقة كبيرة مثبتة حول الرأس بشكل مائل الى الخلف ، ويترك غطاء الرأس هذا خصلات من الشعر منظمة بهيئة دوائر تحيط الجبهة ، كذلك نرى الأذنين وقد زينتا بالأقراط ، ولهذه المرأة عينين واسعتين مطعمتين بالصدف واللازورد وتبدو على شفتيها ابتسامة خفيفة وقام النحات بتنظيم تسريحة الشعر على الجبهة بشكل هندسي حيث عرف النحت في عصر فجر السلالات الثاني بالنحت الهندسي .

كذلك نشاهد شكل آخر من أشكال القبعات في تمثال لملكة لم تعرف هويتها من عصر فجر السلالات الثالث محفوظ في متحف في دمشق في سوريا عثر عليه في معبد عشتار في ماري من مادة حجر الكلس ، (شكل ٣) ونرى في هذا التمثال أن هذه المرأة تضع على رأسها عمامة أسطوانية منتفخة من الأعلى ونلاحظ أن الشعر ينسدل من تحت العمامة على جانبي الوجه بشكل قوس يغطي الوجنتين وبشكل متناظر ولهذه المرأة وجه ممتليء ذو عينين واسعتين وعلى شفتيها ابتسامة خفيفة وقد غطى جسمها رداء واسع أمتد من فوق غطاء الرأس الى الأسفل (شكل٣).

وفي الشكلين (٤ و ٥) نشاهد رأسين لأمراتين من عصر فجر السلالات عثر عليهما في ماري من حجر الكلس ونرى النموذج الأول لأمرأة ترتدي قبعة طويلة ذات حاشية عريضة من الأسفل وينسدل الشعر على جانبي الوجه وهي ذات عينين مطعمتين

واسعتين وأنف وفم متناسقين مع الوجه . وفي النموذج الثاني امرأة ترتدي قبعة بيضوية الشكل ذات حاشية قصيرة وينسدل الشعر أيضاً من أسفل القبعة على جانبي الوجه والعينين واسعتين والوجه ممتليء . وهذه النماذج ظهرت في عدد كبير من المنحوتات في عصر فجر السلالات حيث شاع استعمال القبعات والعمائم بشكل كبير .

وهناك نموذج آخر (شكل ٧) تمثال لامرأة يمثل الرأس والصدر مصنوع من الحجر الجيري يعود الى النصف الأول من الألف الثالث محفوظ في متحف اللوفر في فرنسا ، حيث تظهر هذه المرأة وهي ترتدي قبعة ويظهر الشعر من تحت القبعة على شكل أمواج تلتف حول الرأس وتمتد الى الرقبة من الخلف ، وهذه المرأة ذات وجه ممتليء وعينين واسعتين محفورتين وحاجبين معقودين وانف وفم متناسقين مع شكل الوجه .

٣- شعر مضاف إليه شعر :

هناك نماذج متعددة من المنحوتات في عصر فجر السلالات تظهر فيها المرأة تضع إضافات الى شعرها سواء كان شعر بأكمله أو أجزاء منه الى الشعر الأصلي وذلك لأسباب جمالية تتعلق بالمرأة نفسها ، حيث نرى في(شكل ٢) رأس امرأة من تل أجرب ، من منطقة ديالى يعود الى النصف الأول من الألف الثالث ق.م ، ونرى في هذا النموذج أن شعر هذه المرأة في مقدمة الرأس قد صفف بشكل مسترسل مستمر ينسدل على جانبي الوجه ويعلو هذا الشعر ضفيرة ألتفت حول الرأس بأكمله وأصبحت تبدو كأنها ترتدي قبعة ويبدو أن هذه الضفيرة مضافة للشعر الأصلي ، ونرى ملامح الوجه واضحة حيث العينين الواسعتين المحفورتين وحاجبين معقودين وانف كبير وفم صغير وكذلك زينت الأذنين بالأقراط .

وفي نموذج آخر (شكل١٠) رأس امرأة من منطقة ديالى من تل أسمر يعود الى النصف الأول من الألف الثالث ق.م ، ونلاحظ في هذه النموذج أن شعر المراة في مقدمة الرأس قد عمل بشكل مجعد تقريباً ، والى الأعلى نشاهد ثلاث ضفائر أو ربما أكثر عملت بشكل ضفائر متتالية الواحدة تلو الأخرى تنسدل على جانب الوجه وربما كانت هذه

الضفائر عبارة عن شعر مستعار تزينت به هذه المراة حيث عرف في تلك الفترة استعمال الشعر المستعار حيث نرى أن الرجال كانوا يضعون اللحى المستعارة في مناسبات خاصة في هذا العصر .وأبدع النحات في إظهار ملامح الوجه لهذه المرأة حيث تظهر العينين واسعتين ومتقدمتين الى الأمام وأبرز النحات الأجفان ايضاً وتحلت هذه المرأة بالأقراط كما نشاهدها بشكل واضح في أذنيها .

وهناك نموذج آخر (شكل٩) يمثل رأس امرأة من عصر فجر السلالات الثالث عثر عليه في معبد شارة تل أجرب وهو مصنوع من حجر الكلس ، يظهر في هذا النموذج تسريحة شعر أصبحت من مميزات عصر فجر السلالات حيث نشاهد في هذه التسريحة أن الشعر عمل بشكل صفوف متصاعدة الى الأعلى وفي أعلى الرأس يوجد شريط يربط هذه الصفوف جميعها ويتدلى الشعر على جانبي الوجه بشكل صفوف مائلة الى الخلف وربما كانت هذه التسريحة خاصة بالأميرات أو الملكات في عصر فجر السلالات ، ونلاحظ كذلك ملامح وجه هذه المرأة وهي مشابهة لملامح النماذج السابقة حيث العيون الواسعة المحفورة والأنف الكبير نسبياً والفم ذو الابتسامة الخفيفة التي تميزت في هذا العصر .

تسريحات شعر في وضعيات أخرى :

هناك أنواع أخرى من تسريحات الشعر إضافة الى التسريحات التي سبق ذكرها موجودة في عصر فجر السلالات . مثلاً في (الشكل ١١) تمثال يمثل مرتلة المعبد أور – نانشي (أورنينا) من ماري يعود الى النصف الأول من الألف الثالث ق.م محفوظ في متحف في دمشق . نرى في هذا النموذج تسريحة شعر بسيطة ومميزة في نفس الوقت حيث نلاحظ أن شعر هذه المغنية منساب من قمة الرأس الى نهاية الرقبة ومن ثم عملت الخصل بشكل متموج الى الخصر تقريباً ونلاحظ أن جزء من الشعر مصفف على جانبي الوجنتين بشكل حلزوني قرب الأذن ، وهي ذات وجه ممتليء وعينين واسعتين مطعمتين وانف كبير وفم ذو شفاه رفيعة .

وكانت النساء يحتفظن أيضاً بالكثير من الجمال والإغراء اللذين سبقا أن صادفناه في تماثيل منطقة ديالى وكذلك في ماري حيث تقف الملكات عند رأس موكب المتضرعين وإذ كن يرتدين تاجاً طويلاً من النوع الكروي تظهر على محياهن ابتسامة خفيفة تسحرن وتأسرن لأول وهلة .

ونرى في هذه الأمثلة صورة قريبة الى الحياة التي كانت تعيشها النساء السومريات آنذاك ولو أن هناك جوانب أخرى ما زالت خافية لحد الآن .

النحت في العصر البابلي القديم

أن القطع الفنية التي جاءتنا بالنحت المجسم من فترة العصر البابلي القديم هي أعمال قليلة وغير متجانسة ولا تفي بالغرض الذي ينبغي معرفته عن الخصائص التي تعود للنحت في هذا العصر .

ولقد اكتمل أسلوب المدرسة البابلية في النحت في عهد حمورابي[١٧] . حيث يتضح من خلالها ميل النحات البابلي الى إتباع أسلوب واقعي ومعبر في نحت الأشكال معتمداً في ذلك على بعض التقاليد الفنية السابقة من الفترة الأكدية وفترة الانبعاث السومري .

وكان الموضوع الديني طاغياً على أغلب أعمال النحت خلال هذه الفترة ، حيث تميز البابليون عن غيرهم في هذا المجال بتمثيل بعض الآلهة بشكل آدمي له أربعة وجوه حيث تعود هذه الصياغة الجديدة لشكل الآلهة على الأرجح الى أصول كنعانية – سورية [١٨] .

لقد شهدت هذه الفترة استخدام مادة الطين المفخور بشكل واسع والتي وجد فيها النحات البابلي مادة مناسبة في تحقيق أسلوب متميز في نحت أعمال فخارية مجسمة وبارزة ، وكانت هذه الأعمال شاهداً على كفاءته التقنية في هذا المجال ، وتضم هذه الأعمال مشاهد لمواضيع مختلفة تصور فعاليات البابليين اليومية أو مشاهد طبيعية لحيوانات أليفة أو مفترسة أو مشاهد مرتبطة بمعتقداتهم الدينية والأسطورية كشكل الآلهة العارية المجنحة التي يظهر على رأسها تاج مقرن وتبدو أقدامها على شكل مخالب الطيور.

ونتيجة لقلة الأعمال التي مثلت المرأة بالنحت المجسم بمادة الحجر فقد أدخلت أعمال الطين المفخور والتي تعتبر من مميزات العصر البابلي القديم ، وذلك للوصول الى النتائج المطلوبة في نهاية هذا البحث .

نماذج تصفيفات الشعر خلال العصر البابلي القديم

١- شعر وأشرطة

نرى في احد نماذج هذه الفترة (شكل ١٧) تمثال صغير يمثل امرأة عملت من طينة مائلة الى اللون الأحمر، عثر عليها في تل الضباعي ، القياس الطول ٩ سم، العرض ٤.٥ سم. حيث نجد تسريحة الشعر عند هذه المراة عملت بشكل مسترسل على الخدين والقسم العلوي مرتب على شكل شريط من القماش يلف حول الرأس ، وهذه التسريحة كانت من أكثر التسريحات شيوعاً في العصر البابلي القديم ، وقد زينت هذه الدمية بالحلي حيث كانت ترتدي قلادة على شكل ثلاثة أشرطة رفيعة وكذلك زين المعصمين بالأساور . معالم الوجه واضحة ، فالحاجبان معقودان والعينان لوزية والأنف والفم صغيرين وتبدو الرقبة طويلة ، وهذا العمل مشابه لنموذج آخر (شكل ١٨) حيث نجد الشعر منسدل على الكتفين والقسم العلوي منه عمل على ضفيرة مضافة أو شريط من القماش يدور حول الرأس ، ولكن معالم الوجه غير واضحة وقد زين معصماها بسوار .

٢- شعر وقبعة

ظهرت هذه التسريحة في أعمال كثيرة في هذا العصر فقد كانت أغلب الآلهة ترتدي قبعات أو تيجان مقرنة كما في آلهة الماء الفوار وغيرها من آلهات العصر البابلي القديم ، وأن الآلهة هي خارج حدود بحثنا هذا ، ولكن جاء ذكرها لاستخدامها كشواهد وبيان التشابه بين الآلهة وبقية النساء في العصر البابلي القديم .

ففي(شكل ١٥) تمثال صغير لامرأة عثر عليها في تل الضباعي ، القياس : الطول ٣ سم ، العرض ٣ سم ، الباقي منها الرأس والرقبة ، شعرها منسدل على الخدين والقسم الأعلى جزء منه يتدلى على الجبين أما في الوسط فقد ارتدت قبعة مكورة وزينت أذنيها

أقراط قرصية الشكل وجعل الفنان معالم الوجه واضحة ، وقد غالى في حجم الأنف حيث جعله كبيراً عن المعتاد في بقية الدمى .

ونموذج آخر (شكل ١٩) يمثل امرأة عارية من العصر البابلي القديم نجد شعرها منسدل على الكتفين بشكل خصل وقد ارتدت قبعة غطت القسم العلوي من الرأس بأكمله وتميز عمل النحات في هذا العمل الى الميل نحو التجريد والبساطة في عمل الأشكال .

تسريحات شعر في وضعيات أخرى

هناك تسريحات أخرى ظهرت في العصر البابلي القديم منها (شكل ١٢) عمل من الطين المفخور يمثل امرأة من العصر البابلي القديم ذات شعر منسدل على الكتف بشكل كتلتين مخروطيتين ، أما القسم العلوي من الشعر فقد عمل بهيئة مكورة تاركاً الأذنين الى الأمام ونشاهد هذه المرأة وقد زينت أذنيها بالأقراط مكونة من عدة صفوف ، فقد كانت النسوة في ذلك العصر يتزين (عصر لارسا والبابلي القديم) بأقراط تتكون من قطعتين أو ثلاث قطع متزايدة من هذه الأقراط ، وكذلك زينت الرقبة بقلادة مكونة من عدة صفوف .

وفي (الشكل ١٣) نشاهد رأس امرأة من الطين المفخور ظهرت تسريحة الشعر فيها بشكل منسدل على الكتفين وعملت هاتين الخصلتين كأنهما ضفيرتين على جانبي الوجه وقد أظهر النحات معالم الوجه لهذه المرأة واضحة فالعينين واسعتين وحاجبين معقودين وكذلك تبدو الرقبة طويلة .

وفي تسريحة أخرى (شكل ١٤) تمثال صغير لامرأة عارية تمثل القسم العلوي منها تميل طينتها الى اللون الأصفر عثر عليها في تل الضباعي القياس : الطول ٨ سم ، العرض ٧.٥ سم ، الشعر مرتب يحيط الوجه ومنسدل على الكتفين يزينه مجموعة فصوص دائرية ، يوجد على جانبي الوجه غطاء شفاف ينزل الى الصدر محلى بحبيبات صغيرة وتتدلى على الصدر قلادة تتكون من عدد من الخرز في وسطها خرزة كبيرة وعلى جانبي الرأس ثلاثة ثقوب نافذة في الأغلب لغرض تعليق الدمية أو تثبيتها في مكان

معين . معالم الوجه واضحة كما في بقية الأعمال فالحاجبان معقودان والعيون كبيرة لوزية والأنف مدبب والفم صغير مغلق .

ونموذج آخر (شكل ١٦) تمثال لامرأة من البرونز من العصر البابلي القديم عثر عليه في ماري . وهي ذات شعر معمول بشكل دائري يلتف حول الرأس من الأعلى ، وفي القمة خصلة أخرى دائرية حيث تلف هذه الخصلة مع بعضها لتكون كتلة في قمة الرأس . وهو تمثال صغير لا يتجاوز طوله ٨ سم . وقد أبدع النحات في حركة هذا التمثال وفي معالم الوجه حيث نجد العينان واسعتان وأنف وفم صغيرين ، وقد زينت رقبتها بقلادة في وسطها هلال .

الفصل الرابع

نتائج البحث والإستنتاجات

أن التسريحات التي وجدت في عصر فجر السلالات هي :

١- شعر مزين بأشرطة على اختلاف أنواعها أو ما يسمى بالعصابة التي تلف حول الشعر .

٢- شعر مضاف اليه أنواع مختلفة من القبعات .

٣- شعر مضاف اله شعر او ما يعرف بالشعر المستعار .

٤- شعر منساب على الظهر بدون أي إضافات اليه .

أما التسريحات التي وجدت في العصر البابلي القديم فهي :

١- شعر مزين بأشرطة .

٢- شعر وقبعة .

٣- شعر منسدل على الكتف بشكل كتلتين مخروطيتين .

٤- شعر يزينة منديل .

٥- شعر مرفوع الى قمة الرأس .

هناك تشابه بين أنواع هذه التسريحات بين هذين العصرين كما في تسريحة شعر مزين بأشرطة وكذلك تسريحة شعر وقبعة .

أما من ناحية الاختلاف فهناك ايضا تسريحات ظهرت في العصر البابلي القديم لم توجد في عصر فجر السلالات مثل :

١- شعر منسدل على الكتف بشكل كتلتين مخروطتين .

٢- شعر يزينه منديل .

٣- شعر مرفوع الى قمة الرأس .

وكذلك بالنسبة الى تسريحة الشعر المستعار التي وجدت في عصر فجر السلالات فأنها لم توجد في العصر البابلي القديم .

أن الوضع الاجتماعي للمرأة في العصر البابلي القديم كان أفضل حالا من وضعها في عصر فجر السلالات وذلك بسبب التطور الحضاري والاجتماعي الذي وصل اليه المجتمع في تلك الفترة والذي تمثل في اهتمام حمورابي بالمرأة فقد خصص ٢٨٢مادة من شريعته المعروفة تتعلق بشؤون الأسرة كالزواج والطلاق والإرث والتبني مما يساعدنا في استخلاص صورة واضحة عن مركز المرأة في العهد البابلي القديم والذي يعتبر بحق ، واحدا من أزهر العصور التاريخية في تاريخ العراق القديم .

لقد اهتمت المرأة منذ القدم بشكلها ومظهرها فكلما كان للمرأة منصب او مكانة في مجتمع ما سارعت الى تحسين وضعها والاهتمام بنفسها فنجد أن المرأة في العصرين (عصر فجر السلالات و العصر البابلي القديم) اعتنت بملابسها وكذلك اهتمت بتسريحات الشعر والحلي حسب موقعها في ذلك المجتمع ، حيث نجد شواخص تؤكد ما نقوله كما في المقبرة الملكية في اور وكذلك الأعمال النحتية التي وجدت في أماكن متفرقة من العراق .

لقد اهتم الإنسان في وادي الرافدين بالآلهه وعظم من شأنها ورفعها الى منزلة رفيعة المستوى حيث نجد تماثيل لألهه ونلاحظ مدى الاعتناء بكل شيء يتعلق بها والرغبة في

جعلها في أحسن صورة للمعبد وبرغم من أن الآلهة هي خارج حدود بحثنا هذا لكن نذكرها هنا لنبين مدى التشابه بينها و بين النساء من عامة المجتمع.

واتسمت الأعمال في العصر البابلي القديم بشحتها ، فيما يخص مجتمع البحث فلقد اتجهنا الى مقارنة الأعمال النحتية الحجرية في عصر فجر السلالات بأعمال الطين المفخور وذلك لتوضيح أسلوب كل عصر من هذين العصرين وربما تعود هذه الشحة الى عمليات التنقيب الغيرعلمية في استخراج القطع الفنية من قبل سراق الآثار وبالتالي توزيع القطع الفنية على متاحف العالم المختلفة .

ومن الواضح أن فن النحت البابلي قد ورث ما كان موجود من خصائص فنية على ارض وادي الرافدين وخاصة تلك التقاليد السومرية في التنفيذ مثل الصرامة والمسحة الكهنوتية ألا انه على الرغم من ذلك نلمس بوضوح أن القطع النحتية البابلية سواء التي تمثل بشرا أو تلك التي تمثل ألهة لم تكن متجانسة من حيث التقنية والأسلوب وربما يرجع ذلك الى أن العديد من السلالات والتي كانت قد استقرت في مدن وعواصم مختلفة لها خصوصيتها المميزة والتي كانت قبل البابليين أصلا والتي تأثر بها الفن البابلي مثل السومريون .

وقد اهتم الفنان العراقي القديم في عصر فجر السلالات بنحت وجوه النساء وتسريحات الشعر بواقعية أكثر من بقية أعضاء الجسم الأخرى ذلك لإعطاء خصوصية لكل شخصية ويعود ذلك لان الوجه أكثر أعضاء الجسم تعبيرا عن الحالة النفسية والأحاسيس الداخلية . ونرى اهتماما اكبر بملامح الوجه في العصر البابلي القديم حيث أبدع الفنان في إظهار الملامح المميزة لوجوه النساء بشكل يحاكي الطبيعة .

والأسلوب الذي امتازت به الأعمال الفنية التي مثلت المرأة فيما يتعلق بتسريحات الشعر في عصر فجر السلالات هو الجمع بين الواقعية والهندسية حيث عمل الرأس بشكل يقترب من الواقع ، أما بقية الجسم فعمل بشكل هندسي ، أما أسلوب المدرسة البابلية فقد تأثر بأساليب متعددة منها السومري الاكدي الى أن أتضح بصورته النهائية فقد اكتمل في

عهد حمورابي حيث عاد الفنان في هذا العصر لينتهج منهجا واقعيا وبأسلوب يتسم بالدقة والثبات .

كذلك نجد أن أهم الصفات الجمالية لوجوه النساء في عصر فجر السلالات :

١- الشفتين الواسعتين .

٢- الأنف مستقيم أو مقوس قليلا .

٣- الخدود بيضوية تمتاز بوجود عظام بارزة .

٤- رقبة قصيرة ممتلئة .

أما في العصر البابلي القديم كانت :

١- الوجه الطويل .

٢- العينين كبيرتين واسعتين .

٣- الأنف كبير .

٤- فم صغير .

٥- الرقبة الطويلة .

المصادر

١. الأحمد ،سامي سعيد ، المدخل الى تاريخ العالم القديم ، الجزء الأول ، مطبعة الجامعة ، ١٩٧٨ .

٢. اوتس ، جون ، بابل تاريخ مصور ، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي ، دائرة الآثار والتراث ، بغداد ،١٩٩٠ .

٣. بارو ، اندريه ، سومر فنونها وحضارتها ، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، بغداد ،١٩٧٧ .

٤. باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة –الجزء الأول – دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ .

٥. بصمجي ، فرج ، كنوز المتحف العراقي ،السلسلة الفنية ١٧ ،مديرية الآثار العامة ، بغداد ،١٩٧٢.
٦. زكي، عبد الرحمن ، الحلي في التاريخ والفن ، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ، ١٩٦٥ .
٧. سوسة ، احمد ، حضارة وادي الرافدين ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ،١٩٨٠.
٨. عبد الحليم نبيلة محمد، معالم العصر التاريخي في العراق القديم ،دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٣.
٩. عقراوي ،تلماستيان ،المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨.
١٠. قاشا، سهيل ، المرأة في شريعة حمورابي ،منشورات مكتبة بسام ، الموصل، د. ت.
١١. مظلوم ، طارق ، حضارة العراق ، الجزء الرابع ، وزارة الثقافة والأعلام ، دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٩٨٥.
١٢. مورتكات ، انطون ، الفن في العراق القديم ،ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، مطبعة الأديب ، بغداد ، ١٩٧٥.

الهوامش

١. باقر ، طه ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة – الجزء الأول – دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص٣٥٤ .
٢. سوسة ، احمد ، حضارة وادي الرافدين ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٠ ،ص١٣٢
٣. بصمجي ،فرج ، كنوز المتحف العراقي ،السلسلة الفنية ١٧ ،مديرية الآثار العامة ، بغداد ،١٩٧٢، ص٢٨ .
٤. اوتس ، جون ، بابل تاريخ مصور ، ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي ، دائرة الآثار والتراث ،بغداد ،١٩٩٠، ص٩١ .

٥. بصمجي ، فرج ، المصدر السابق ، ص٣٥
٦. عبد الحليم نبيلة محمد ، معالم العصر التاريخي في العراق القديم ،دار المعارف ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ ص١٢٧ .
٧. سوسة ، احمد ، المصدر السابق ، ص٦٤٣ .
٨. بارو ، اندريه ، سومر فنونها وحضارتها ، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، بغداد ١٩٧٧ ، ص٣٦٦ .
٩. عقراوي ،تلماستيان ،المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٨ ،ص١٩
١٠. عقـــــــــــــراوي، المصدر السابق ، ص١٩-٢٠ .
١١. قاشا، سهيل ، المرأة في شريعة حمورابي ،منشورات مكتبة بسام ، الموصل ، د. ت ، ص٢٨
١٢. زكي ، عبد الرحمن ، الحلي في التاريخ والفن ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ،القاهرة، ١٩٦٥ ،ص٥-٧ .
١٣. زكي ، عبد الرحمن ، المصدر السابق ، ص١٠٧
١٤. بصمجي ، فرج ، المصدر السابق ، ص١٦٨
١٥. الأحمد ،سامي سعيد، المدخل الى تاريخ العالم القديم ، الجزء الأول ، مطبعة الجامعة ١٩٧٨ ، ص٣١٨ .
١٦. مورتكات ، انطون ، الفن في العراق القديم ، ترجمة عيسى سلمن وسليم طه التكريتي ، مطبعة الأديب ، بغداد ، ١٩٧٥ ،ص٢٨ .
١٧. مظلوم ، طارق ، حضارة العراق ، الجزء الرابع ، وزارة الثقافة والأعلام ، دار الحرية للطباعة بغداد ، ١٩٨٥ ، ص٥٦ .
١٨. مورتكات ، انطون ، المصدر السابق ،ص٢٧٥

قائمة التخطيطات

ملاحظة:جميع أشكال البحث قامت الباحثة بتخطيطها من المصادر المذكورة أعلاه.

شكل١ ، تمثال لإمرأة سومرية، وجدت في خفاجي مصنوع من مادة الحجر. من مصدر بارو ،اندريه ،سومر فنونها وحضارتها ، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ص ١٦١.

شكل ٢ ، راس لإمرأة سومرية ، منطقة ديالى تل اجرب مصنوع من مادة الحجر، من مصدر بارو ،اندريه ، المصدر السابق ، ص ١٦٠.

شكل ٣ ،تمثال لامرأة جالسة من حجر كلسي من ماري ، من مصدر مظلوم ، طارق ، حضارة العراق ، ج٤ ،وزارة الثقافة والأعلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٨٥ ، ص ١٧٠.

شكل ٤ ، راس لامرأة من حجر كلسي من ماري من مصدر مورتكات ،انطون، الفن في العراق القديم ، ترجمة عيسى سلمان وسليم طه التكريتي ، مطبعة الأديب ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ١٣٠.

شكل ٥ ، راس لامرأة من حجر كلسي من ماري ، من مصدر مورتكات ، انطون ، المصدر السابق ، ص ١٣٠.

شكل ٦ ،راس لإمرأة سومرية من الحجر ، منطقة ديالى تل اجرب ، من مصدر بارو ، اندريه ، المصدر السابق ، ص ١٦٠.

شكل ٧ ، تمثال لإمرأة سومرية يمثل الرأس و الصدر مصنوع من الحجر الجيري ، من مصدر بارو ،اندريه ، المصدر السابق ، ١٦٣.

شكل ٨ ،رأس امرأة من تللو ، منطقة ديالى ، من مصدر بارو ،اندريه ، المصدر السابق ، ص ١٦٢.

شكل ٩ ، رأس لإمرأة من حجر كلسي من تل اجرب ، من مصـــدر Frankfort,H., The art and architecture of the ancient orient , london , penguin book 1958 , p.18.

شكل١٠ ، رأس امرأة سومرية من منطقة ديالى تل اسمر مصنوع من الحجـــر ، مـــن مصدر بارو ، اندريه ، المصدر السابق ، ص ١٦٠.

شكل١١، تمثال المغنية اورنانشي من ماري من مصدر مورتكات ، انطـــون المصـــدر السابق ، ص١٧٦.

شكل١٢ ، تمثال لإمرأة من الطين المفخور من ماري ، مـــن مصـــدر Maxwell-Hyslop , k.r. , western asiatic jewellery c.3000-612 B.c. london : methuen &coltp , 1971 , p.86.

شكل١٣ ، تمثال لإمرأة من الطين المفخورمن مصدر الأســـتاذ ب هروددا.م.د.هـــوه، تقرير اولي عن البعثة الاثارية الألمانية في ايسن ، ايشان البحريـــات ، مجلـــة سومر ، مجلد ٣٣ ، جزء ١ ، المؤسسة العامة للآثار ، بغـــداد ، ١٩٧٧ ،ص ١٢٧.

شكل١٤ ، تمثال لإمرأة من الطين المفخور من تل الضباعي من مصدر محمد محمود شاكر ، أديبة علم الدين الخياط ونادية غانم مهاوش ، مجلة سومر، مجلد ٤٣ ، الجزء الأول والثاني ، وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٦٧.

شكل١٥ ، دمية لإمرأة عثر عليها في تل الضباعي ،مصنوعة من الطين المفخور ، من مجلة سومر مجلد ٤٣ ، الجزء الأول والثاني ،ص ٦٨.

شكل ١٦ ، تمثال لإمرأة من البرونز من العصر البابلي القديم عثر علية في ماري ،من مصدر.Maxwell-Hyslop , k.r. , western asiatic jewellery , p87

شكل ١٧ ،دمية تمثل امرأة عملت من الطين المفخور عثر عليها في تل الضباعي ، من مجلة سومر ،مجلد ٤٣ ، الجزء الأول والثاني ص ٦٧.

شكل ١٨ ، تمثال لإمرأة واقفة مصنوعة من الطين المفخور عثر عليها في تل الضباعي ، من مجلة سومر ،مجلد ٤٣ ، الجزء الأول والثاني ص ٦٧.

شكل ١٩ ، تمثال امرأة عارية من العصر البابلي القديم من مصدر -Maxwell Hyslop , k.r. , western asiatic jewellery , p87

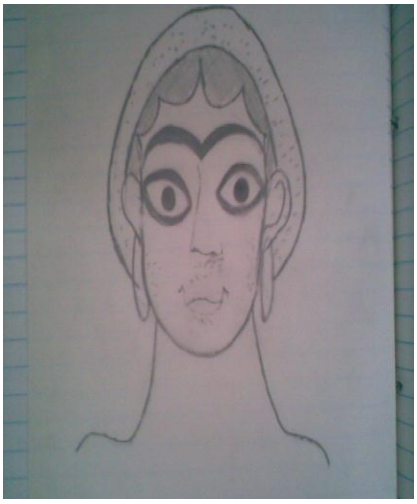

(شكل ١)

(شكل ٢)

(شكل ٣)

(شكل ٤)

(شكل ٥)

(شكل ٦)

(شكل ٧)

(شكل ٨)

(شكل ٩)

(شكل ١٠)

(شكل ١١)

(شكل ١٢)

(شكل ١٣)

(شكل ١٤)

(شكل ١٥)

(شكل ١٦)

(شكل ١٧)

(شكل ١٨)

(شكل ١٩)